Coptology

ⲥⲁⲛⲱⲩ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

عيد الصليب

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

عيد الصليب ٢٠١٧

عندما كنت صبياً قدَّمت لي راهبة من دير أبو سيفين في مصر القديمة صليباً من الجلد هدية. وكان الدير يبعد دقائق عن منزلنا. وظلَّ الصـــليب بما فيه من خطوط متقاطعة لا تختلف عن خطوط الصـــلبان على أحجبة الكنائس الثلاث الأثرية: الأنبا شنودة – العذراء الدمشرية – وأبو سيفين.

ونظراً لنمو أشكال الصليب المتنوعة .. ظللت سنوات أبحث فيها عن سبب تكوين هذه الأشكال الرائعة القبطية التي وصلت حتى أيرلندا.

وكان اللقاء التاريخي مع الأب دوبريه في متحف اللوفر في فرنسا ثم في المكتبة الأهلية في باريس. قال لي الأب دوبريه إن الأقباط رسموا ٣٦٥ رسماً للصـــليب، وأنه بصـــدد إعداد بحث موثق عن ذلك. ولم ينشـــر هذا البحث، ولكنه في متحف اللوفر وعلى ورقة بيضاء رسم صليباً:

وقال لي: كم صليب في هذا الرسم؟

طبعاً، الشكل الظاهر صليبٌ واحد، ولكنه قال: بل ثلاثة، الأول المساحة التي حدَّدتها الخطوط. والثاني الخطوط نفسها. والثالث هو الشكل الخارجي الذي تكوَّن عند رسم أو نحت الصليب، وأخذ مساحة من الخشب أو الورق، وأن هذه المساحة أُحيطت بصلبان أخرى.

ثم ابتسم وقال في عبارة واحدة: لقد غُرِسَ الصليب لكي تنمو حوله صلبان الشهداء والنساك والمعترفين لكل المؤمنين. هو شجرة أرسلت فروعها لكي تنمو حولها أشجارٌ أخرى.

وجاءت دراسة الأب جان دانيللو عن رموز المسيحية القديمة، ونشر فيها بعض نقوش مسيحية على شواهد القبور. كما ظهرت أشكال الصلبان في مخطوطات قبطية موزعة في متاحف العالم، وبالذات القماش الذي وُجِدَ على أجساد الراقدين في العصر المسيحي المصري، وهو قطع النسيج التي لا زال بعضها في المتحف القبطي، ويشكِّل الصليب أحد دعائم التشكيل الفني فيها.

وجاءت عدة مقالات كتبت في دوريات متفرقة عن الصليب شجرة الحياة، ولعل أهم ما نُشر هو دراسة العالم الألماني *Doglger* حيث نالت كلمة ختم *Seal* اهتماماً كبيراً كان هو نفس اهتمام أُستاذنا يسى عبد المسيح؛ لأن الصليب هو: ختم الثالوث – ختم الملك – علامة امتلاك النفس والجسد.

وجاء اكتشاف كتاب معاني رشم الصليب[1]. ثم التلمذة على القمص ميخائيل ابراهيم الذي كان يرشم علامة الصليب على كل شيء، حتى وهو يسير في الشارع، ويمر أمام البيوت، أو يصعد سلم بيت، أو يشرب كوب من الماء، فلم أرَ شخصاً يرشم علامة الصليب مثل هذا الإنسان. وكان أبي الروحي القمص مينا المتوحد

(١) راجع: معاني رشم الصليب في الحياة الروحية، وفي طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، القاهرة، ٢٠١٦، جذور للنشر والترجمة والتوزيع. والكتاب منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

متو شح بالإ سكيم، وهو مكون من ١٢ صليباً من الجلد، والشكل هو الحرف اليوناني – القبطي X وهو أول حرف من اسم المسيح في اليونانية والقبطية.

ولعل كثافة رشومات الصليب في كل الخدمات الإلهية التي يخدمنا فيها الثالوث القدوس كافية لأن تؤكد لنا أن ختم الثالوث وختم الرب وختم الملك يُعطى باســـم الآب والابن الروح القدس. ومِن هنا بالذات، عندما در ست نظريات الفداء في العصر الو سيط، تلك التي تسلَّلت إلى المؤلفات القبطية في العصر الحديث، أدركتُ أنني ملتزم بالبحث؛ لأن هذه النظريات كافية لأن تجعلنا نن سى أن الـ صليب هو عطية وختم محبة الله الثالوث لنا.

وجاء اكتشاف ر شومات الميرون في محا ضرة لأ ستاذنا يسى عبد المسيح التي أكدت لنا أن ر شومات م سحة الروح القدس تُعطى بر شم أو ختم الـ صليب. وفجأة ظهر معنى ذلك النص الفريد في قوانين أبوليدس (هيبوليتوس) بأن ر شم الـصليب يحفظ النقاء الذي وُهِبَ في المعمودية، وأنه لا داع للاغتسال بعد العلاقة الزوجية.

في لبنان سمعت أنشودة راهب ماروني: "يا صليب الرب يا رفيق الدرب – يا حبيب القلب". ووجدت نفسي أردد ذات الكلمات.

يا صليب الرب

يا رفيق الدرب

يا حبيب القلب

يا عطية الحب

يا نبع الحياة

يا نور يسوع

يا سندي الوحيد.

هكذا دخلتُ الصراع مع لاهوت العصر الوسيط. ولا زال ذلك الصليب من الجلد الذي أخذته هديةً، يتحدَّى كل دهاليز الفكر الغربي بكل مداره؛ لأن الصليب يدخل إلى أعماق النفس، بل ويلتصق بالجسد منذ رُشمنا بالميرون، وهو الرشم الذي يجعلنا نرشم أنفسنا في كل صلواتنا، وفي كل الخدمات الكنسية التي يقدمها الثالوث لنا.

يا صليب يسوع

في القلب أنت مغروس

غرسك روح يسوع

قوة حياة لا تزول

بك يعود الوعي

إلى أصلنا الجديد

إلى مياه التعميد

ومسحة الملك

وختم القربان

ودم العهد الجديد

في كأس الرحمن

يا صليب يسوع

امتزجنا بك روحاً وجسداً

(رجاء من القراء دراسة عظة أبينا القديس أثناسيوس الرسولي في قطمارس أسبوع الآلام – الساعة الحادية عشر): "أما علامة الصليب فهي مبسوطة على كل الخليقة. الشمس إذا لم ترسل شعاعها لا يصلنا النور. والقمر إذا لم يبسط أشعته يظل مظلماً. كذلك طيور السماء أيضاً، إذا لم تبسط أجنحتها لا تستطيع الطيران. والسفن أيضاً إن لم تفرد قلوعها لا يمكنها أن تسير. هوذا موسى رئيس الأنبياء لما بسط يديه قهر عماليق ودانيال نجا من حب الأسود ويونان من بطن الحوت ..".

د. جورج حبيب بباوي